كلية المحيريبا التقنية
سلسلة الحلقات الدراسية

حلقة رقم (١)

خفاض الأنثى في المجتمع السوداني

(رؤية شرعية)

د. صلاح الدين الخليفة أحمد الحسن

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



كلية المحيريبا التقنية

سلسلة الحلقات الدراسية

حلقة رقم (١)

خفاض الأنثى في المجتمع السودانى

(رؤية شرعية)

د. صلاح الدين الخليفة أحمد الحسن

الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – هيئة التعليم التقني – كلية المحيريبا التقنية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

دأبت كلية المحيريبا التقنية منذ تأسيسها في العام ٢٠٠٤م على أن يقوم أعضاء هيئة التدريس بتقديم حلقات دراسية بحيث يقوم كل عضو بتقديم حلقة على الأقل في كل عام دراسى في مجال تخصصه.

وتتم مناقشة هذه الحلقات بواسطة أعضاء هيئة التدريس بالأقسام العلمية. وقد أفاد هذا التقليد في تحريك البحث العلمى بالكلية، وكان من ثمراته أن كتبت بحوث في مجال الحاسب الآلي، والتجارة الإلكترونية، والإدارة العامة، وإدارة الأعمال، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، واللغات ، والميكانيكا، والصيانة، والإعلام، والعلاقات العامة، إلى غير ذلك من العلوم والتخصصات التى تعتني بها الكلية.

وقد رأى مجلس الكلية أن ينشر بعض الحلقات الدراسية بعد عرضها على لجنة محكمة تختار من بين هذه الحلقات الذي تراه مناسباً للنشر تعميماً للفائدة العلمية.

ونسأل الله عز وجل أن ينفع بذلك، وأن يجزل المثوبة لكل من يسعى في أمر البحث العلمى تنقيباً ونشراً وتطبيقاً.

والله ولي التوفيق

د. صلاح الدين الخليفة أحمد الحسن
عميد كلية المحيريبا التقنية

مقدمة:-

كثرت الدراسات والبحوث في الآونة الأخيرة عن خفاض الأنثى الذي عرفه السودان منذ زمن بعيد. وقد توصلت البحوث إلى بيان الآثار الخطيرة المترتبة على خفاض الأنثى وفقاً للنموذج الفرعوني.

وقد كان لمراكز البحث والمنظمات الخارجية دورها الكبير في أن تسن الدولة بعض التشريعات التى من شأنها الحد من انتشار الخفاض الفرعوني.

والناظر في الدراسات والبحوث المتعلقة بخفاض الأنثى يرى أن أغلبها لا يفرق بين أنواع الخفاض من حيث الآثار المترتبة على ذلك.

كما أن هناك من ينكر تماماً معرفة الإسلام للخفاض، ووفقاً لذلك نجده يقرر أن الإسلام يحارب الخفاض بكافة أنواعه. وهناك من يرى أن ربط الخفاض بالإسلام من شأنه أن يعزز من وجود الخفاض الفرعوني في المجتمع السودانى، وأن ذلك يكرس من دونية المرأة.

وهناك بعض الثقافات الفرعية في المجتمع السودانى التى لا تمارس الخفاض مطلقاً، وقد غلبت هذه الورقة الثقافات الفرعية التى تمارس الخفاض وفقاً للمكونات الأساسية المكونة للثقافة السودانية.

ونود أن نتطرق في هذه الورقة إلى ظهور الخفاض في المجتمع السودانى، وبعض المفاهيم المتعلقة بالخفاض، وأنواعه، وبعض الدراسات التى أجريت حوله، وبعض آثار الخفاض الفرعوني على المرأة.

كما نود أن نتطرق إلى بعض المبررات والأهداف الاجتماعية للخفاض.

كما نجيب على السؤال: هل عرف الإسلام خفاض الأنثى؟ ونتناول المجهودات التى بذلت في إبطال الخفاض الفرعوني وصولاً إلى رؤية نافعة في هذا الخصوص إن شاء الله تعالى.

وهذه الورقة التي نريد لها أن تخرج كما هو مفصل آنفاً تهدف إلى الوصول إلى رؤية شرعية لهذا الشأن كمساهمة من

الباحث في أمر تضاربت فيه الأفهام، واختلفت فيه الرؤى. ففي فهم الباحث أن جلاء الأمور وفقاً للعقيدة التى يدين بها أي مجتمع من المجتمعات من شأنه أن يحرك أفراد المجتمع ويجعلهم يتطلعون إلى تطبيق ما تحكم به عقيدتهم.

ولا غرو أن يقرر علماء الاجتماع الديني بمفهومه الغربي أن العقيدة التي تمثل أمراً رئيساً في عمليات التغيير الاجتماعي التي عرفتها البشرية عبر حقبها التاريخية المختلفة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى

صلاح الدين الخليفة أحمد الحسن

ظهور الخفاض الفرعوني في السودان:-

في القرن السادس عشر قبل الميلاد قرر فراعنة الأسرة الثامنة عشر الفرعونية (١٥٧٠ ق م) اتباع سياسة جديدة نحو السودان، لا تقوم على الفتح والاحتلال فقط بل تتعمق أكثر من ذلك إلى جعل جزء كبير من شمال السودان جزءاً من الحضارة الفرعونية آنذاك. وذلك من خلال اتباع سياسة تمصير، وإدخال العنصر السوداني في الحضارة الفرعونية وخلق منطقة تكامل حضاري واتحاد متكامل. كانت نتيجته أن امتدت مؤسسات الحكم والدين والتجارة والصناعة ومراكز التحضر، وحدث امتزاج واختلاط في الأعراق والسكان، وقد دام ذلك قرابة الأربعمائة سنة، كانت نتيجة أن تعمقت مفاهيم فرعونية ومثل وقيم حضارية وتقنيات فنية كثيرة في بقية أجزاء السودان.[1]

ومن المرجح أن سياسة التمصير في السودان قد فعلت فعلها في النسيج الاجتماعي/ ونتج عنها جملة من التقاليد والعادات والأعراف الاجتماعية التي رسخت في المجتمع بمرور الزمن.

ولا نستبعد أن يكون ظهور الخفاض الفرعوني قد بدأ في تلك الفترة من تاريخ السودان. وحين نعلم أن الخفاض الفرعوني له علاقة بالطقوس النيلية فإن ذلك يصب في اتجاه تأكيد العلاقة بينه وبين سياسة التمصير. إذ أن الأهالي الذين يسكنون حول النيل يقومون بتسيير موكب إلى النيل يصطحبون فيه معهم الفتاة المخفوضة حيث يصب عليها ماء النيل عند وصلوهم إليه. وهذا التقليد نجده ضمن منظومة تقاليد تتعلق بدورة الحياة من ولادة وختان وزواج.

وهناك بعض الباحثين الذين يؤكدون أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون الخفاض. ويؤكد ذلك التوجيه النبوي للخافضة أن تلتزم صورة معينة في الخفاض تختلف عن الموروث العربي المتمثل في الاستئصال للبظر. ومن هنا فإن دخول العرب للسودان قد يكون له أثره في استمرار عادة الخفاض باعتباره من الموروثات العربية.

---

[1] أحمد محمد علي الحاكم – هوية السودان الثقافية –ص٨٧-٨٨

ولكن تأصل الخفاض بصورته الفرعونية في المجتمع السوداني قد منع من تطبيق التصور النبوي له.

مفاهيم حول الخفاض:ـ

الخفاض اصطلاحاً هو إجراء عملية جراحية بموجبها يتم تخفيض أو إزالة كل أو جزء من البظر، من الشفرين الصغيرين والكبيرين، وتسمى هذه العملية بالطهارة، وتجرى للبنات قبل سن البلوغ.[1]

وهناك اعتقاد سائد أن فرعون عندما تنبأ له العرافون والمنجمون أن سيولد ولد في بنى إسرائيل وسيستولي على عرشه، خطط له معاونوه إجراء عملية الخفاض على نساء بنى إسرائيل حتى تحتاج الحامل عند وضع جنينها إلى قابلة فيساعد ذلك في معرفة جنس المولود، فإن كان ذكراً قتل، وإن كانت أنثى لم تقتل.[2]

ويستشهد من يرى هذا الرأي بقوله تعالى: (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ)[3]. ومعلوم أن منطقة جنوب مصر ينتشر فيها الخفاض الفرعوني بصورة واسعة وقد يكون ذلك مؤيداً لمن يربط الخفاض بعهد الفراعنة.

ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن مناطق أخرى من العالم القديم لم تعرف الخفاض، ومارسته بصورة أو أخرى.

أنواع الخفاض:ـ

للخفاض أنواع متعددة تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ومن ذلك:-

أ- الختان الفرعوني: فيه يتم قطع البظر والشفرين الصغيرين، والشفرين الكبيرين ثم يخاط الجرح ويوضع عود ثقاب، وما شابهه داخل فتحة المهبل، حتى إذا ما برئ الجرح بقي ثقب صغير يخرج من خلاله البول ودم الحيض.

ب- المكرمُة: وهو دلك قمة البظر بمسحوق الملح أو البدرة أو الملح مع الرماد عند بعض القبائل للمولودة حديثاً.[4]

---

[1] محمد عيد محمد عثمان – مخاطر خفاض البنات في الإسلام –ص٤

[2] المرجع السابق – ص٥٠- انظر أيضا الجمعية الوطنية لمحاربة العادات الضارة – معلومات عن مضاعفات ومخاطر خفاض البنات – ص١

[3] سورة البقرة – الآية ٤٩

[4] محمد عيد محمد عثمان – مرجع سابق – ص٨

ج- خفاض السُنة: وهو يتوافق مع التقليد الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يشتمل إزالة مقدمة البظر فقط،على ما جاء في قول الطبيبة الباحثة السودانية أسماء الضرير.

ولكن هذا الاسم (سُنة) يستخدم أيضاً من قبل النساء السودانيات للإشارة إلى أنواع أخرى من عملية الخفاض تشمل الإزالة البسيطة للبظر مع إزالة القلفة وأنواع أخفاض أخرى متوسطة.[1]

وافضل التقديرات لمدى شيوع الأنواع المختلفة للخفاض تستند إلى مسح (أسماء الضرير) الذي غطى عدداً من المناطق في شمال السودان، حيث وجد فريق البحث أن حوالي ٩٩% من النساء أجرى لهن نوع من أنواع الخفاض. وأنَّ ١% فقط غير مخفوضات، ومن بين المخفوضات فإن ٢,٥% أجرى لهن خفاض السنة الخفيف و١٢,٢% خفضن خفاضاً من النوع المتوسط، في حين أن نسبة ٨٥,٣% قد أجريت لهن عملية الخفاض الفرعوني (الاستئصال زائداً الرتق) والرتق Infibalation أو خياطة طرفي الفتحة معاً، تؤدى إلى حجب فتحة المهبل وقناة مجرى البول، وتاركة فقط ثقباً صغيراً لمرور البول ودم الحيض.[2]

دراسات حول الخفاض:-

أجريت عدة بحوث ودراسات حول الخفاض في المجتمع السوداني بواسطة بعض الباحثين والمراكز العلمية من داخل وخارج السودان.

وخلال فترة الاحتلال الإنجليزي للسودان نشطت الإدارة الحكومية ممثلة في الخدمات الطبية السودانية عام ١٩٤٥م بإصدار وتوزيع كتب بالعربية والإنجليزية تشجب ممارسة الخفاض الفرعوني وتحث على تركه.[3]

---

[1] ألين فروبوم - الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني - ص١٠ - بيان للنوعين (أ) و (ج)
[2] المرجع السابق - ص ١٠
[3] المرجع السابق -ص ٢٠

كما تكونت جمعيات عملت على تنفيذ محاضرات ونـدوات ونشر بعض الأبحاث المتعلقة بالخفاض الفرعوني بهدف إبطاله.

ومن أشهر تلك الجمعيات (جمعية بابكر بـدري للدراسـات النسوية) و (الجمعية السودانية لمحاربة العادات الضارة).

وقد انعقد مؤتمر عالمي مولته منظمة الصحة العالمية حـول الممارسات التقليدية المؤثرة على صحة المرأة في الخرطـوم عـام ١٩٧٩م، تضمن أوراقاً علمية عن خفاض المرأة، قدمها عـدد مـن الباحثين السودانيين. وعلى سبيل المثال، فقد أجرى مسح واسع وسط النساء والرجال في مناطق عديدة مـن شـمال السـودان، لتحديـد ممارسات خفاض الأنثى الجارية حالياً ومدى تفشيها. وقد نتج عـن هذا المسح نشر كتاب أسماء الضرير (أيتها المـرأة، لِـمَّ البكـاء: الخفاض وآثاره).

ولقد استهدف مشروع ممول من قبل جمعية بـابكر بـدري للدراسات النسوية استئصال ممارسة الخفاض من القرى التـي ينفـذ فيها. وقد تم تأسيس مركز للمعلومات والمصادر حول خفاض المـرأة في إطار المجلس القومي للبحوث في السودان. وأصبح هناك اهتمـام بالمشكلة من قبل منظمات عالمية عديدة وتكونت صلات مع أشخاص في البلدان الأخرى التى تعانى من ممارسات مماثلة.[1]

وقد اتجهت بعض الجامعات السودانية مؤخراً إلـى تأسـيس مراكز لدراسات المرأة، اهتمت بمشكلة الخفاض الفرعوني وعقـدت عدة حلقات دراسية في هذا الصدد.

بعض آثار الخفاض الفرعوني على المرأة:-

إن البحوث التى تناولت آثار الخفاض على المرأة لم تفـرق بين الخفاض الفرعوني وغيره من أنواع الخفاض، لذا نجد أن الحملة على محاربة الخفاض لا تفرق بين أنواعه.

ونلاحظ أن الآثار التى تتناولها الأبحاث الطبية والنفسية تنطبق علـى الخفاض الفرعوني دون غيره من الأنواع الأخرى.

---

[1] المرجع السابق – ص٩

وتذكر بعض المراجع أنه عند إجراء الخفاض تتكون عدة مخاطر على حياة المرأة حيث تنزف بشدة، وتحدث لها التهابات وتتعرض لتخثر الدم وحبس البول أو الصدمة. وهى مخاطر قد تنتج عنها حالات وفاة في بعض الأحيان ، كما أنَّ الفتيات اللاتي أجريت لهن عملية الرتق يعانين من حبس دم الدورة الشهرية في فترة الحيض أو يتعرضن لصعوبات في التبول وذلك لاعتراض نسيج الجرح القديم لفتحة البول.ولدى الاتصال الجنسي الأول يمثل الرتق عائقاً لابد من فتحه بقوة مؤلمة بواسطة الزوج أو القابلة أو الطبيب. كما تحدث تعقيدات عند الولادة نتيجة لنسيج الجلد الغليظ في منطقة الرتق والذي لابد من فتحه بالقطع ثم إعادة خياطته بعد الولادة.لذلك فإن ناسور القناة المهبلية ينتج عن مثل هذه التعويقات في المخاض. وهو ليس نادر الحدوث في السودان. ومثل هذا الناسور أو الثقب بين المثانة البولية والمهبل، يحدث نتيجة لإصابة النسيج اللحمي بين العضوين حيث تنتج تبعاً لذلك أوضاع غاية في الحرج بالنسبة للمرأة المصابة، فهي لا تستطيع أن تحبس بولها فيظل يتسرب باستمرار. ومن التعقيدات الأخرى لخفاض المرأة على المدى الطويل التهابات المسالك البولية والتهابات الحوض المزمنة.[1]

وهناك بعض البحوث التي خلصت إلى تأثر نفسية المرأة المخفوضة بحيث أنها تصاب ببرود جنسي نسبة لما تجده من مشقة وعنت في عملية الجماع مع زوجها، بحيث ترى أن ذلك يعد واجباً ثقيلاً تضطر اضطراراً إلى القيام به.

ويتم اقتطاع قمة البظر وجزء منه في الخفاض الفرعوني، أي اقتطاع الجزء الأشد حساسية من بين أعضاء الأنثى التناسلية.[2] ومعلوم أن عملية اللقاء الجنسي بين الزوجين لها أهميتها البالغة في استقرارهما النفسي، كما تنعكس على حياتهما الأسرية،كما أن لها انعكاساتها الاجتماعية.

---

[1] المرجع السابق – ص١٢

[2] حسين بيرم – العنف في حياة كل إنسان – ص١٢

بعض المبررات الاجتماعية للخفاض:-

يهدف الخفاض في بعض المجتمعات لضمان سلوك البنت عند البلوغ من الانحراف الخُلقي وتخفيف حدة الهيجان والشهوة عند ذروة البلوغ والتي تؤدى لارتكاب الفواحش والزنى، وتعتقد هذه المجتمعات انه حماية للبنت من الانحراف الخلقي وضماناً للعفة.[1]

فالهدف الاجتماعي من الخفاض الذي هو الحفاظ على سمعة البنات، وتامين إمكانية زواجهن، قائم بلا أمل كبير في تغييره حتى وإن أيقن الناس من الآثار الضارة للخفاض، حيث أن النساء إنما يحمين أنفسهنَّ وبناتهنَّ في مواجهة الخطر الحقيقي المتمثل في النبذ الاجتماعي والدمار الاقتصادي. ولإعادة عملية الرتق فيما بعد الولادة هدف مماثل لأنه من المظنون أنها تزيد متعة الزوج الجنسية، ولذلك تقبل عليها الزوجات اللائى يسعين للاحتفاظ بوضعهن في الأسرة حتى لا يفقد الزوج اهتمامه بهنَّ ويستقل الحق في الطلاق أو اتخاذ زوجة ثانية.[2]

وتؤكد البحوث أن المرأة غير المخفوضة تجد من المتعة الجنسية اكثر من تلك المتعة التي تجدها المخفوضة وهذه دلالة تبين العلاقة بين الشهوة الجنسية وعملية الخفاض.

ومن هنا نجد أن المؤيدين للخفاض ينطلقون من هذا المنطلق باعتبار أن الخفاض يخفض من شهوة الفتاة، ويساعدها على الحفاظ على عفتها، ويحثها على ضبط سلوكها، والتزامها بقيم مجتمعها التي تدعو إلى الفضيلة.

وقد أشار بعض أهل النظر من قديم إلى أن البظراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة، فإن كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك، والغاية من الخفض تقليل غلمة النساء، ويكون العفاف عليهنَّ مقصوراً... ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للخاتنة: (

---

[1] محمد عيد محمد عثمان – مرجع سابق –ص ٤

[2] ألين فرونبوم – مرجع سابق –ص١٢

أشميه ولا تنهكيه) كأنه أراد أن ينقص من شهوتها بقدر ما يردها إلى الاعتدال، فإن شهوتها إذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الأزواج.[1]

ومعروف عن شيخ الإسلام احمد بن تيميه أنه كان فقيهاً على وعي كبير بفقه الواقع فحين سُئل عن المرأة: هل تختتن أم لا: فأجاب: (الحمد لله نعم! تُختتن، وختانها أن تُقطع أعلى الجلدة التي كعُرف الديك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخافضة: أشمي ولا تنهكي فإنه أبهى للوجه، وأحظى لها عند الزوج) يعنى: لا تبالغي في القطع، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهيره من النجاسة المحتقنة في الغلفة، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة.

ولهذا يُقال في المشاتمة: يا ابن القلفاء ! فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا يوجد من الفواحش في نساء التتر ونساء الأفرنج ما لا يوجد في نساء المسلمين، وإذا حصلت المبالغة في الختان ضعُفت الشهوة، فلا يكمل مقصود الرجل* ، فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود باعتدال. والله اعلم)[2]

والناظر في واقع مجتمعات العالم المعاصرة يجد نفس هذا الذي استشهد به (ابن تيمية) ينطبق على المجتمعات التي لا تهتم بالخفاض حيث تكثر فيها الفاحشة ولا يهتم فيها بأمر الشرف والخلق والدين. ولا غرو أن تدعو الفقرة (٧/٤) من وثيقة مؤتمر السكان والتنمية التي تبنتها الأمم المتحدة إلى إنهاء الحمل وتخفيف عواقب الإجهاض وهي إلى جانب ذلك تنفر من ختان الأنثى وترى أن التنفير يجب أن يكون جزءاً من برامج الرعاية الصحية والجنسية والتناسلية.

وقد أعلنت هذه الوثيقة الحرب على العفة والأخلاق والشرف من خلال صياغة ماكرة خبيثة.[3]

---

[1] د.الحسين سليمان جاد – وثيقة مؤتمر السكان والتنمية: رؤية شرعية – ص٥٨- نقلاً عن لسان العرب- مادتي طهر وبظر

* كذلك لا يكمل مقصود المرأة

[2] عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد بن تيميه – ١١٤/٢١

[3] د. الحسن سليمان جاد – وثيقة مؤتمر السكان والتنمية: رؤية شرعية – ص ٥٥،٥٨

إن الشخصية القومية السودانية تجعل من أمر الشرف والعفاف أمـــراً يعادل الحياة بحيث أن فقد ذلك يعنى فقد الإنسان لحياته ومن هنا قـال من قال باستحالة استئصال عادة الخفاض من المجتمع السوداني.

وقد ربط بعض الباحثين بين الخفاض وعذرية المرأة بحسـب ما هو شائع في المجتمع السوداني، إذ أنه بتلطيف الرغبة الجنسـية لدى الصبية وبإعاقة إمكانية اختراقها وبعملية الرتق، فـإن عمليـة الخفاض تصبح ضمانة لعذريتها، وتؤمن بالتالي إمكانية زواجها.[1]

وفي رؤية بعض الباحثين الغربيين فإن خفاض المـرأة فـي السودان يمثل جزءاً من الترتيبات الاجتماعية الثقافية لدعـم دونيـة المرأة.[2] والسؤال: هل تمثل دونية المرأة ظاهرة اجتماعية في المجتمع السوداني وما علاقة ذلك بالخفاض؟

في الواقع نجد أن بعض الثقافات الفرعية بالسودان بها بعض الممارسات التي من شأنها أن تدعم من دونية المرأة، ولا يُشكل ذلـك ثقافة عامة لجميع أهل السودان الذين نجد أن أكثرهم يقدرون المـرأة حق قدرها.

وهذا الخفاض فيه من الدلالات التـي تـدل علـى المكانـة الاجتماعية السامية للمرأة في المجتمع السوداني إذ ربط ذلك بالحفـاظ على عذريتها وعفتها.

وباعتبار أن الإسلام يمثل المكون الرئيس للثقافة السـودانية فالحديث عن وجود ترتيبات اجتماعية تقصد إلى دونية المـرأة، قـد يجانبه الصواب.

وهنالك من يرى أن الخفاض ليس مجرد ممارسـة تقليديـة متبقية من التاريخ، بل هو علاقة مهمة لوضع متميز لمجموعة عرقية - أي الخفاض - يستخدم مذهبياً لإبعاد المجموعات الطموحـة ذات الوضع الأدنى والتي تحس من جانبها إغراءاً لتبنى هـذه الممارسـة

[1] ألين قرونبوم – مرجع سابق – ص١٢
[2] المرجع السابق- ص١٢

كجزء من عملية الاستيعاب الثقافي الضرورية للانتقال للطبقة الأعلى اجتماعياً.[١]

أن الذي يتبنى مثل هذا الرأي قد لا يكون على درجة كبيرة من استيعاب المفردات المكونة للشخصية القومية السودانية، ولا المفردات المكونة للثقافات الفرعية للمجموعات العرقية في المجتمع السوداني.

فمن مفردات الشخصية القومية السودانية الاعتزاز بالنفس، وعدم قبول الذل تحت أي ظرف من الظروف، والدفاع عن الشرف والعرض حتى الموت.

ويشم من هذا الرأي أن الطبقية تمثل نظاماً اجتماعياً يسود السودان فكيف يصح ذلك والمكون الثقافي الرئيس في السودان يتمثل في الإسلام الذي يُعرف تماماً موقفه من الطبقية.

إنَّ ربط الخفاض بقضايا مذهبية وعرقية وطبقية في المجتمع السوداني يُعد ربطاً غير موفق، وليس له ما يسنده في الواقع الاجتماعي.

الخفاض في سياق الثقافة الإسلامية:-

حين جاء الإسلام وجد العرب يخفضون النساء خفاضاً لا يختلف عن الخفاض الفرعوني في شئ، فجاء التوجيه النبوي لخافضة النساء بالمدينة(أم عطية الأنصارية) رضى الله عنها: (إذا خفضتي فأشمي ولا تنهكي، فإنه أسرى للوجه وأحظى للزوج).[٢]

جاء في تحفة العروس: (ولمّا كان للبظر دور هام في اللقاء الجنسي، كما ثبت حديثاً وخاصة عند المرأة في زيادة حساسيتها، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الخافضة من اخذ اليسير، فإن الكثير يسبب البرود الجنسي لدى المرأة وعدم رغبتها في النكاح.[٣]

---

[١] ألين قرونبوم – مرجع سابق – ص١٩-٢٠

[٢] أخرجه الطبراني والدولابي والخطيب البغدادي – ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة- حديث رقم (٧٢٢) المجلد الثاني

[٣] محمود مهدي الاستانبولي – تحفة العروس – ص ٤٩٢

قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (واعلم أنَّ ختن النساء كان معروفاً عند السلف خلافاً لما يظنه من لا علم عنده، وأورد بعض الآثار في ذلك : (عن أم المهاجر قالت: سبيتُ وجواري من الروم فعرض علينا عثمان الإسلام، فلم يسلم غيري وغير أخرى فقال: اخفضوهما، وطهروهما ، فكنت أخدم عثمان).[١]

وقد اختلفت وجهات نظر فقهاء الإسلام في أمر الختان فقال الشافعية الختان واجب للذكر والأنثى. وقال الحنابلة واجب للذكر ومكرمة في حق الإناث وقال الحنفية والمالكية هو سنة في حقهما.[٢]

وحديث الفقهاء حول الخفاض يدور حول خفاض السنة قطعاً دون الخفاض الذي ورثه العرب من أسلافهم وما عرف عن الفراعنة في هذا الصدد.

والبون شاسع بين الخفاضين، وقد حارب الإسلام منذ البداية على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الخفاض الذي يؤدي إلى استئصال البظر ونهكه.

وفي السودان حارب فقهاء الإسلام الخفاض الفرعوني منذ عهود سحيقة فقد جاء في سيرة الشيخ (حمد ود أم مريوم)[•] أنه منع الخفاض الفرعوني وقد احتج على رأيه هذا بأنه السنة. وقد اعتبر الناس هذا القول من الشيخ حمد والتمسك به والدعوة إليه شذوذاً ومشاقة لأنهم قد علموا أنَّ الخفاض من المكرمات الإسلامية. ويلاحظ أن الشيخ حمد كان كثيراً ما يقرر حقوق النساء ويدافع عنها بصلابة إعمالاً لسنة النبي صلي الله عليه وسلم الذي أمر بالرفق بالنساء والتواصي بهنَّ خيراً.[٣]

يتضح لنا من هذا السياق أنَّ الشيخ حمد قد تفهم تماماً أنَّ الخفاض الفرعوني بما يتضمنه من أضرار للمرأة لا يتفق مع سياق

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد – أنظر الألباني– السلسلة الصحيحة ٢/٣٥٧

[٢] د. محمد سليمان فرج – السعادة في العقيدة والعبادة من القرآن والسنة – ص

[•] ولد في ١٠٥٥هـ وتوفي في ١١٤٤هـ

[٣] عز الدين محمد عثمان – مشكلات واتجاهات التغير الاجتماعي في جزيرة توتي – ص ١٠٧ (رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة النيلين)

الثقافة الإسلامية. ولما كان لا يوجد في عهده من هو على دراية وتأهل لإجراء خفاض السنة فقد منع الخفاض واحتج بأنَّ ذلك هو السنة.

وقد بين بعض الفقهاء المعاصرين حرمة الخفاض الفرعوني وحددوا تكييفه الشرعي ففي كتابه الختان والخفاض يقول عبده غالب أحمد عيسي (اعتاد بعض الناس على فعل حرام شرعاً في خفاض المرأة، وهو أنهم يقومون بقطع البظر كله مع تخييط الفرج، وهذه العادة تسمى الخفاض الفرعوني عندنا في السودان) إلى أن يقول (وقطع البظر مع التخييط يؤدى إلى عيب شرعي في المرأة يسمى (الرتق) ومعناه: انسداد مسلك الجماع. وكل امرأة عمل لها خفاض غير شرعي تحتاج عند الولادة إلى أن يُعمل لها جرح مؤلم ليخرج الجنين بسهولة وهو ما يسمى" بالوربة" عندنا في السودان).[1]

يتضح لنا من السياق السابق أنَ خفاض السنة يختلف تماماً عن الخفاض الفرعوني من حيث كيفيته وآثاره على الأنثى. ولم يتفق أهل الفقه والنظر على حتمية إجراء خفاض الأنثى، مع تسليمهم بوجوده في العصر الأول ومعرفة السلف له.

ولكن الذين يعارضون الخفاض بكافة أشكاله يرون أن مصطلح (خفاض السنة) مصطلح سيئ الحظ فهو حين يُستخدم للإشارة لعملية إزالة البظر والأشكال الأخرى الأقل تطرفاً، يؤدى إلى دعم فكرة أنَّ هناك نوعاً ما من أنواع الخفاض إسلامي المنطلق.[2]

ومن هنا يرى البعض أنَّ ممارسة (خفاض السنة) يُعد مجود انعكاس للتغيير في التسمية أكثر من كونها إشارة إلى تحول في نوع العملية الجراحية التي أجريت. وبذلك فإنَّ التخلي التدريجي عن الخفاض الفرعوني واستبداله بالسنة، رغم كونه يشكّل تقدماً فيما يتعلق بالآثار الصحية إلا أنه ربما يسهم في واقع الأمر في بقاء نوع

---

[1] عبده غالب أحمد عيسى – الختان والخفاض – الصفحات ١٨،١٩،٢٠

[2] ألين قرونبوم – مرجع سابق –ص١٥

من أنواع هذه الممارسة في الاستخدام لوقت أطول يربطـــها بشــكل أوثق بالدين.[1]

إنَّ مثل هذه الكتابات لا تفــرق بيــن الخفــاض الفرعونــي وخفاض السنة،وتريد لخفاض الأنثى أن يختفي من الوجـــود بكافــة أشكاله دون مراعاة للعقيدة الدينية، والرؤى الاجتماعية، وتكوينـــات الشخصية القومية السودانية.

مجهودات إبطال ممارسة الخفاض الفرعوني:-

جاءت أول المحاولات لإبطال عملية إزالة البظر والرتق فــي السودان بصورة رسمية خلال فترة الاحتلال البريطاني، إذ تم استقدام قابلة بريطانية عام ١٩٢٠م ورسمت خطة لمنع القابلات التقليديـــات عن إجراء جراحة الخفاض. وفي عام ١٩٤٦م صدر مرسوم حكومي يمنع الخفاض الفرعوني. ووزعت كتيبات تشجب ممارسة الخفــاض. وقد صادق على ذلك أطباء من الإنجليز والسودانيين وقد أفتى مفتــي السودان بأنَّ الخفاض ليس أمراً لازماً في الإسلام. ودعا قائد دينـــي ممن صادقوا على الكتيبات المذكورة إلى استبدال الخفاض الفرعونــي بخفاض السنة مستشهداً ببعض الأحاديث النبوية.[2]

وفي عام ١٩٤٦م قامت ثورة في رفاعة ضد ســجن قابلــة خفضت فتاة.[3]

وهناك دافعاً أخراً لإبطال الخفاض هو الضغـــوط التــي تمارســها المنظمات خارج السودان لهجر الممارسة.[4]

وفي رؤية بعض الباحثين أن مجــهودات إبطــال ممارســة الخفاض الفرعوني سوف لن تثمر كإزالة تدريجية لممارسة واحــدة. فهي ليست أمراً متعلقاً بالتوعية الصحية مثلها في ذلك مثــل عمليــة التطعيم. بل إنه بسبب مدلولها المذهبـــي (Ideological) المرتبــط بمفاهيم النوع والدين والهوية والعرق (Ethnological) وفي نهايـــة

[1] المرجع السابق –ص١٦

[2] المرجع السابق – ص٢٠

[3] نفسه – ص٢١

[4] نفسه –ص٢٢

الأمر التحكم في أعمال إعادة الإنتـــاج، ودورهــا فـــي الاقتصـــاد الرأسمالي فإنَّ تغييراً اجتماعياً كبيراً يُعد أمراً ضرورياً لإبطالها.[1]

وقد اتجهت الدولة مؤخراً إلى تكثيف جهودها المتعلقة بإبطال الخفاض الفرعوني وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وإصدار بعض التشريعات التي من شأنها المســاعدة فــي إبطـــال الخفــاض الفرعوني.

[1] نفسه – ص٢٩

وبعد..

إنَّ محاربة خفاض الأنثى دون التفريق بين أنواعه لا يُعد أمراً حكيماً وهو لا يتفق مع مفردات الثقافة الإسلامية، ومكونات الثقافة السودانية.

وليس من الحكمة أن يُشن الهجوم على خفاض السنة الذي ينبغي أن يكون المرتكز الأساسي في عملية أبطال الخفاض الفرعوني، باعتبار أنَّ مظاهر التدين تبدو واضحة في المجتمع السوداني.

ومن خلال التوعية الإسلامية بالنمط الذي ينبغي أن تُخفض به الأنثى، وبيان حرمة الخفاض الفرعوني، يمكن لخطط وسياسات الدولة والجمعيات الوطنية والمراكز البحثية أن تحقق شأواً بعيد المدى في إبطال الخفاض الفرعوني.

إنَّ علاقة خفاض الأنثى في الإسلام ثابتة في إطار التوجيه النبوي الذي يشن حملة قوية على عملية الخفاض بالصورة المؤذية للأنثى، أو أنه لا يفيد الهيئة الاجتماعية في شيء.

ومن هنا وجب أن يركز الباحثون في المجالات الطبية والنفسية والاجتماعية بحوثهم على هذا النوع من الخفاض دون أن يتأثروا بالأحكام المسبقة التي يرددها الغربيون ومن لف لفهم في هذا الشأن.

إنَّ من الحكمة مراعاة الظروف الاجتماعية التي اقتضت أن لا يستجيب المجتمع السوداني في بعض أجزائه لعملية إبطال الخفاض الفرعوني، على الرغم من تبيان آثاره الخطيرة.

كما أنَّ الحكمة تقتضي دراسة الأسباب التي أدت إلى استجابة شريحة كبيرة من المجتمع السوداني إلى عملية إبطال الخفاض الفرعوني حيث نبذوه إلى خفاض السنة الذي يختلف اختلافاً جذرياً في الشكل والمضمون عن الخفاض الفرعوني.

أمّا الفئة التي نبذت خفاض الأنثى بكافة أنواعه، فــهنالك سعة في وعاء الفقه الإسلامي، إذ لم يتفق الفقهاء علـــى حتميـــة الخفاض، وإن اتفقوا على أن له صورته التي تميزه عن غــيره من أنواع الخفاض. وعلى هذه الفئة أن لا تنكر معرفـــة الســنة النبوية، والسلف الصالح، لخفاض الأنثى سعياً إلى إخراجه مـــن سياق الثقافة الإسلامية جهلاً أو قصداً.

والله ولي التوفيق

صلاح الدين الخليفة أحمد الحسن
المحيريبا- ١٧ رمضان ١٤٢٥هـ
١/١٠/٢٠٠٤م

المصادر والمراجع

خفاض الأنثى في المجتمع السوداني (رؤية شرعية)

١. القرآن الكريم.
٢. أحمد محمد علي الحاكم - هوية السودان الثقافية: منظور تاريخي- دار جامعة الخرطوم للنشر - الخرطوم ١٩٩٠م.
٣. د. الحسيني سليمان جاد - وثيقة السكان والتنمية: رؤية شرعية - كتاب الأمة رقم ٥٣ - وزارة الأوقاف - الدوحة ١٤١٧هـ.
٤. ألين قرونبوم - مقال: الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني - مجلة الدراسات السودانية العدد 2/1 مزدوج المجلد الحادي عشر - معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية - ١٠/١٩٩١م.
٥. د. حسين بيرم - الجنس في حياة كل إنسان.
٦. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد - مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية - مجلد رقم(٢٢) - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - بدون تاريخ.
٧. عبده خالد أحمد عيسي - الختان والخفاض - دار الجيل - بيروت - ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٨. عز الدين محمد عثمان حبيب مشكلات واتجاهات التغير الاجتماعي في جزيرة توتي -أطروحة دكتوراة غير منشورة - الخرطوم - جامعة النيليين - ٢٠٠٤م.
٩. محمد عيد محمد عثمان - مخاطر خفاض البنات في الإسلام - جمعية بابكر البدري العلمية للدراسات النسوية - بدون تاريخ.
١٠. محمد ناصر الدين الألباني - سلسة الأحاديث الصحيحة - المجلد الثاني - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - الطبعة الرابعة - ١٤٥٠هـ.
١١. محمود مهدي الاستانبولي - تحفة العروس - طبعة المكتب الإسلامي.
١٢. د. محمد سليمان فرج - السعادة في العقيدة والعبادة من القرآن والسنة - طبع على نفقة أحمد عبد الجليل الفهيم - أبو ظبي - بدون تاريخ.
١٣. مكتب منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف) الخرطوم بالتعاون مع الجمعية الوطنية لمحاربة العادات الضارة بصحة الأم والطفل - معلومات عن مضاعفات ومخاطر خفاض البنات - الخرطوم - ١٩٩٣م.

رقم الإيداع (٤١٩/٢٠٠٦)

قمة الابــداع لفن الطباعة والتصميم ت 783717